الشنانة: أحداث ووقائع تاريخية

مقالات مختارة من صحيفة الجزيرة

د. محمد بن عبدالله السلومي

طبعة مزيدة ومنقحة

١٥ رمضان ١٤٤٥هـ

– نسخة للقراءة التلفونية–

م	عنوان المقال	رقم عدد الصحيفة	تاريخ النشر	رابط المقال في صحيفة الجزيرة
١	قرية الشنانة.. العمل التطوعي والتعاوني أنموذجاً	١٧٤٣٩	٢٦ ذي القعدة ١٤٤١هـ	http://www.al-jazirah.com/2020/20200717/sy1.htm
٢	مرقب الشنانة وتاريخ البناء	١٧٥١١	٢٢ صفر ١٤٤٢هـ	http://www.al-jazirah.com/2020/20201009/xz2.htm
٣	من ذاكرة التاريخ: الشنانة وحفل الملك سعود التعاوني	١٧٨٠٥	١٠ صفر ١٤٤٣هـ	https://www.al-jazirah.com/2021/20210917/mz1.htm
٤	وقعة الشنانة.. ومعركة الوادي عام ١٣٢٢هـ	١٨١٤٩	٢٨ ربيع أول ١٤٤٤هـ	https://www.al-jazirah.com/2022/20221024/ld1.htm

مقدمة

الحمد لله حمد الشاكرين والصلاة على النبي الأمين وبعد:

فهذه مقالات عن بعض الأحداث والوقائع المتعلقة بتاريخ (بلدة الشنانة)، والتي لا يزال تاريخها بِكرٌ غير مُدوَّن بصورةٍ كاملة، وهو ما يتطلب تضافر الجهود بين المؤرخين والمؤلفين، والأمل أن يكون هذا الملف الإلكتروني بموضوعاته الخمسة محفِّزاً كذلك لمزيد من الكتابات والحوارات والنقاشات العلمية المفيدة، ولعل في هذا الملف عن الأحداث والوقائع، مع الملف السابق عن رموز الشنانة وأعلامها ما يُكوِّن جزءً من الصورة الذهنية عن بلدة الشنانة وتاريخها القديم والمتأخر بأحداثها ووقائعها وعمارتها وسكانها.

وهذا الملف وما سبقه يتضمنان معلومات تاريخية غير مكتملة عن البلدة، لكنها مُحفِّزة للقارئ على المعرفة عن أهالي البلدة ورموزها، وربط الأحداث ببعضها، كما هي ورقات مسهمة في كشف بعض الجوانب التاريخية الأخرى، مما قد يكون موضع نقاش وحوارات علمية تُثري عن البلدة وأهاليها.

وشكري لمن طلب نشر الملف الأول ثم الثاني، حيث فيهما إسهاماً في تدوين التاريخ، وإهداءً للأجيال، والشكر موصول لصحيفة الجزيرة التي نشرت وأتحفت القُراء من المهتمين بالتاريخ الاجتماعي لهذا الوطن.

وأسأل الله قبول العمل، فالتاريخ رسالة، والكتابة فيه احتساب وأمانة. والله الموفق.

مركز القطاع الثالث للاستشارات والدراسات الاجتماعية (قطاع)

info@the3rdsector.org

[١]

قرية الشنانة.. العمل التطوعي والتعاوني أنموذجاً

تأتي أهمية الكتابة عن هذا الجانب المهم حول المبادرات الذاتية في تنمية الحياة المجتمعية، لا سيما في ظل الظروف الاقتصادية المُستَجِدَّة، حيث رحل كثير من العُمَّال، وحيث شُحت الموارد المالية للفرد والأسرة والمجتمع، وحيث ضَعفت الموارد المالية للجمعيات الخيرية، وتتأكد هذه الأهمية في ظل تعوِّد معظم الأجيال على نمط الوفرة والحياة الاجتماعية الاستهلاكية، وهو ما أنساها إلى حدٍّ كبير قيم التعاون الاجتماعي والتطوع، وأصبح ضعف التعاطي بقيم العطاء بين الأسر والأفراد والجيران سمة ظاهرة لاستغناء بعضهم عن بعض! وذلك بعد ظروف تنموية مباركة مرَّت على هذه البلاد –حفظها الله– وكانت هذه الظروف التنموية قد أغنت بعض الناس عن البعض الآخر إلى حدٍّ كبير، لكنها في المقابل أضعفت قيماً كُبرى وأخلاقيات مُثلى تحتاجها المجتمعات في كل زمان ومكان.

وحينما أكتب هذا المقال عن قريتي (الشنانة) فإن هذا ليس من التعصب لها، بل إن معظم القرى الأخرى كانت كذلك، إن لم

يكن كلها بنفس الحال أو أكثر في عطاء الوقت والنفس والأرزاق والمال وتبادل المنافع، بل حينما أكتب عنها هنا كأنموذج فلأني عشتُها وكتبتُ عنها بعض المادة العلمية التاريخية، وهي كذلك متوفرة في بعض المصادر والمراجع.

لقد أدركت بنفسي –وأنا في السبعينيات من العمر تقريباً– كيف كان في قريتي (الشنانة) في محافظة الرس بمنطقة القصيم صورٌ متعددة ومتنوعة من التطوع والتعاون لدرجة أن إمام مسجد الجُديدة بالشنانة لم يقبل مكافأة الإمامة الشهرية فترة طويلة من الزمن قناعةً منه بأنها عمل تطوعي، كما أن من التعاون أن بعض الأغنياء من المدن كانوا يُسيِّرون رواتب شهرية متواضعة لسد احتياجات بعضهم من أسرهم وأقاربهم في الغالب سواءً عن طريق إمام المسجد أو بصورة مباشرة.

وقد سمعت من جدي سليمان السلومي –رحمه الله– ومن غيره، كيف كان عطاء مدرسته الخيرية للتعليم بالشنانة، وهي الوحيدة التي كانت أساساً للمدرسة الحكومية، ثم كيف كانت مدرسة الشيخ عبدالله السلومي –رحمه الله– في مسجد قريته لتحفيظ القرآن للصغار والكبار قبل الجمعيات المعنية بالقرآن، وكيف كذلك بادر بنفسه بإغاثة عائلة كاملة بمزرعة تُسمى

"الغبية" حينما تَهدَّمت أسقف منازلهم في موسم مطير، وذلك بإسعافهم بنصب الخيام لهم، بل كيف كان لهذه القرية برجالها المخلصين أدوار إغاثية خارج الوطن، حيث كان التفاعل مع حملات الدولة في الإغاثة لليمن والسودان والصومال وأفغانستان في سنوات مضت، وذلك في جمع التمور والملابس بكميات وشحنات وفيرة، وغير هذا كثير من صور مبادرات التطوع الذاتية، ومن ذلك ما ورد في كتاب (الرس وأدوار تاريخية في الوحدة)، ومن صور التطوع والتعاون ما يلي:

أولاً: التعاون في التنمية الاقتصادية والاجتماعية: فالتعاون فيما بين جماعة القرى والبلدات هو السمة الأساسية للإنتاج قبل عصر (الوفرة والطفرة والاستهلاك)، وقبل معرفة الأيدي العاملة الوافدة، وأهالي الشنانة من النماذج –مثل غيرهم آنذاك– في هذا الشأن، والعمل التعاوني يُعدُّ من سمات الاستقرار ونمو المجتمعات وتنميتها، ومما يُحقق الأمن الاجتماعي والفكري بين الناس، وهو بالتالي مما يُعزِّز أمن الدولة ووحدتها وقوتها.

«لقد أدركتُ بنفسي زمن طفولتي وبداية شبابي صور التعاون فيما بين الأهالي في حفر آبار المزارع، وآبار المنازل (الحساوة) والعمل المشترك في زراعة الأراضي بالنخيل، وحرث الأرض

لزراعتها بالخضار والقمح (المعية) وغير ذلك، وشراكتهم التعاونية في حصاد الزروع ودوسها وذريها في حزوم الصفا المتساوية، بطرقهم البدائية مثل الدوس للحبوب بأقدام البقر والإبل في بعض البلدات، ومثل دق الحبوب بالكابون (وهو مطرقة خشبية ثقيلة) ثم تطور دوسها بعجلات الحرَّاثات (الدركترات) الزراعية فيما بعد ذلك بعمل تعاوني فريد، وكذلك التعاون فيما بينهم في بناء مساجدهم وبيوتهم الطينية، وجني التمور (الجِداد) بعمل مشترك ينتقلون فيه من مزرعة إلى مزرعة، أيام جِداد التمر حتى النهاية، وكذلك يفعلون في وقت السيول فيما بينهم، لخدمة تصريف السيول إلى مزارعهم بشكل تعاوني، كما يتعاونون في الاحتطاب وجمعه في شحنات على السيارات لكل واحد منهم شحنة، وكذلك في الاتفاق حول من يرعى أغنامهم من أهالي البادية، يتم توظيفه بشكل جماعي للقرية مقابل نصف ريال أو ريال عن كل رأس من الغنم شهرياً، وتتجلى صور العمل التعاوني في ما يسمى (قهوة الجماعة) حيث يُزوِّدها الجميع بما تحتاجه من مواد القهوة والشاي وغير ذلك، لتحقيق الاجتماع فيما بينهم وإكرام ضيوفهم، وهذه الأعمال التعاونية، تنسجم مع قيم الإسلام، وهي قيم وأخلاق تُعزِّز الأمن الاجتماعي، وتُقوي السِّلم بين الناس

عامة، كما تبني العلاقات الأخوية والعائلية والاجتماعية» [الرس وأدوار تاريخية في الوحدة: ص٩٥-٩٦].

ثانياً: العمل التعاوني المجتمعي في توفير الإسكان (١٣٧١هـ): وعن هذا كتب الشيخ عبدالله بن محمد الخليفة في كتاب (الرس وأدوار تاريخية في الوحدة)، ومما ذكره كأنموذج عن أزمنة مضت حول قوة الإرادة التي صنعت شيئاً كثيراً من قِبَلِ شباب الشنانة قديماً مُذكِّرا أجيال اليوم، وموجِّهاً لهم رسالة بعنوان: (إلى شباب اليوم في صناعة المستقبل) وفيها قال: «في بيئة من الفقر والحاجة والإيثار، ومع بلوغ شباب الشنانة سن الزواج، وبيوت أهاليهم غير المؤهلة في السعة، ولا تتسع لزوجاتهم مع أهاليهم، جاءت فكرة عند الشيخ سليمان السلومي وابنه عبدالله ثم رفاقهما -رحم الله الجميع-، وهي إنشاء مساكن لهم في أرض فراغ، خارج أرض قرية البلطانية والبلَّاعية، ولكن يصدق عليهم في هذا المقام قول الشاعر: (قرب الشفاء وما إليه وصول) فالتحديات كبيرة، لكن العمل التعاوني في ذلك الوقت قيمة محترمة ومقدرة من الجميع، وقد تجاوز أهل الشنانة، مثل معظم الناس في ذلك العصر، كل التحديات المتعلقة بالنفقة، أو البناء أو الزواج، بالرغم من أنهم لا يجدون لقمة العيش، والبعض منهم

ثيابهم مُرَقَّعَة، وَهَمُّ الزواج يدق طبوله، وقد تجاوزوا هذه العوائق واتفقوا بقيادة الشيخ عبدالله السلومي على إنشاء حي أو قرية سموها (الجُدَيِّدَة) فمنهم من يُحضِر الطين، ومنهم من يُخَمِّرِه بالتبن، ومنهم من يصنع لبنات الطين للبناء، وهم عصبة كفاح متعاونون، يعملون جميعاً لصالح الجميع، فهم يعملون لأحدهم مثلاً يوم السبت، ويوم الأحد عند الثاني، ويوم الاثنين عند الثالث، وذلك بغرض أن يجف جدار الأول وتجف لبنات الطين، ثم يرجعون إلى كل واحد حسب السابق حتى يسقفوا منازلهم بخشب الأثل وجريد النخيل (سعفها)، وكان منهم البَنَّاء الماهر (الستاد) ومنهم النجار، ومنهم الماهر في صعود النخل لقطع جريدها، وكان أهل المزارع يفرحون بذلك إعانةً منهم للمحتاجين، وللتخلص من ذلك الجريد، وقد قامت المساكن أو البيوت بدون خسارة، ولا مواد مستوردة أو مشتراه، بل ولا أجرة عُمَّال، وبنوا بهذا العمل التعاوني مسجداً للقرية كما قاموا بحفر بئر للمسجد، وبهذا التعاون التطوعي، حَلُّوا مشكلة كبرى كانت تواجه الشباب في ذلك الزمن وهي مشكلة السكن، وبعد سنوات وسَّعَ الله على أهل هذه القرية (الجُديِّدة) أرزاقهم وصار لهم زوجات، وبنون وبنات، وإسهام في فعل الخيرات في هذا الوطن المبارك، والدرس

المأخوذ من هذا لشباب اليوم؛ أن يعرفوا كيف تجاوز آباؤهم وأجدادهم تحديات الحياة، وظروفها الصعبة بالعمل والإنتاج، وليعلم شباب اليوم أن حياة الرفاهية الاستهلاكية، أسهمت في تقليل عزائمهم، ومن نتائجها أن الخمول قد غلب عليهم، فصار النوم نهاراً، والسهر ليلاً إلا من عصم الله"»(الرس وأدوار تاريخية في الوحدة: ص٩٧-٩٩).

ثالثاً: العمل التعاوني في حفل الملك سعود -رحمه الله- (١٣٧٩هـ): لم تكن الأعمال التعاونية والتطوعية حصراً على احتياجات المجتمع الأساسية كما سبق، بل كانت تتعدى ذلك إلى إحياء المناسبات بالتعاون والتطوع كمواسم رمضان وما فيه من تبادل الطعام والصدقات، ومناسبات الأعياد والحج والعمرة وما فيها من صور التعاون، كما في حملة الحج التعاونية بتنظيم الشيخ عبدالله السلومي على مدى أكثر من أربعين عاماً، وكذلك عن طعام غداء الجمعة في بعض القهاوي وغير ذلك، ويظهر هذا التعاون والتطوع بين أهالي القرية في حفل الملك سعود كذلك، ابتداءً من فكرة الدعوة للزيارة، حيث كانت من الأهالي ومن معظم الأسر التي كانت تقطن الشنانة، ثم كان جمع المال اللازم لتنفيذ هذا الحفل، حيث (مائة ريال) على كل موظف أو صاحب مال

وراتب، فهو تعاون من الجميع وتطوع من الجميع كذلك، وكذلك إعداد مقر الحفل وتجهيزه، فلم تكن الأيدي العاملة الأجنبية موجودة أصلاً، وقد تم اختيار أهالي الشنانة لمزرعة عبدالله الرداحي من الخليفة –رحمه الله– مقراً لهذا الاستقبال والحفل؛ نظراً لتميزها بفواكه الرمان والتين مع النخيل، وكانت إضاءة المكان بجلب مُولِّد الكهرباء من خلال هذه الميزانية الأهلية المشتركة، إضافةً للتعاون التطوعي المشترك بالتشغيل للكهرباء بخبرات اثنين من الأهالي، وكذلك كانت تصاميم مداخل قرية البلاعية ومداخل الحفل من البوابات الخشبية المصنوعة محلياً داخل القرية نفسها وبأيدي محلية كذلك.

وقد كان استيراد شاحنة من الفواكه الأخرى من الرياض لغرض الحفل بتعاون كذلك بين الأهالي، وكان الحفل الخطابي بتجهيزاته الكهربائية والصوتية وفقرات الحفل تعاوناً وتطوعاً من الجميع، وكل هذا وغيره مما يكشف أكثر عن روح الشراكة والتعاون، وبالتالي مما يعكس التراحم والتعاطف والمحبة بين الأهالي والجيران من شتى الأسر والبيوت.

والمهم في هذا كله عن التعاون والتطوع أن ترتفع حجم الدعوات للخير والعطاء، والتذكير بالأجر والثواب بالمنابر الدعوية

والإعلامية ومناهج التعليم، فالدين وقِيَمه وتشريعاته من أقوى المحفِّزات والدوافع عالمياً للعطاء والتطوع، ونقاش هذا الموضوع هنا ليس أن يرجع هذا العمل الناجح سابقاً بديلاً عن مؤسسات القطاع الحكومي وأدوارها الرعوية والتنموية المباركة، ولكن ليكون رديفاً قوياً ومساعداً ومُكمِّلاً للقطاع الحكومي في وقت تزداد فيه الأزمات الاجتماعية الاقتصادية على كثير من المجتمعات والأسر، حيث التداعيات العالمية والمحلية للاقتصاد وأثرها على الحياة الاجتماعية بالفقر والحاجة والمرض والجهل والأمية وغير ذلك، إضافةً إلى تعدد صور مستجدات الاحتياجات الأسرية، كإيجارات المنازل للمحتاجين، وصيانتها، والرعاية الصحية، والتعليم للجميع ومستلزماته.

وفي الختام.. فهل نحن بحاجة إلى إحياء ما اندرس من قِيَم وأخلاقيات التعاون والتطوع والعطاء؟ هذا السؤال المهم الذي لا بد من طرحه، والبحث له عن إجابات حول إحياء هذه القيم في نفوس الفرد والأسرة والمجتمع؛ ليكون عطاء المسلم لأخيه المسلم، وعطاء الغني للفقير، وعطاء الجار لجاره، والقريب لقريبه منافساً ومُكمِّلاً لعطاء المؤسسات الحكومية والجمعيات الخيرية ومُخفِّفاً لبعض الأعباء، فعطاء الأفراد كما كان سابقاً لا يستهان

به في تحقيق التعاطف والتكامل الأسري، والتراحم الاجتماعي، ويضاف إلى هذا أن المجتمعات لا زالت بخير ما دامت تمتلك رصيد التعاون والتطوع من دينها الباقي –بحمد الله– في الضمائر والنفوس، والله ولي التوفيق.

[٢]

مرقب الشنانة وتاريخ البناء

جدلٌ جديد في الساحات الحوارية ووسائل التواصل في محافظة الرس لم يكن موجوداً قبل عِقد أو عِقدين من الزمن، لكنه أَحدَثَ حِراكاً حول تاريخ بناء (مرقب الشنانة)، وهذا المقال المختصر لا يسع لذكر كامل الروايات لكنه محاولة لإبراز أهمها وأرجحها، وقد ورد في كتاب (الرس وأدوار تاريخية في الوحدة) معظم الأقوال، كما ورد ذلك في معظم الكتب المعنية بالرس، وفي مجملها ترجيح لتاريخ البناء بأنه كان عام ١١١١هـ، وفي هذا المقال تم الاكتفاء بما هو أقوى الروايات وأرجحها، وبما هو لدى كثيرٍ من المؤرخين روايةً أو ترجيحاً.

ومرقب الشنانة أو كما يسميه البعض برج الشنانة، هو معلم من المعالم الأثرية المهمة في منطقة القصيم بالرس، حيث كان يستخدمه سكان الشنانة للمراقبة في أوقات غارات السلب والنهب الشائعة آنذاك بين بعض القبائل أو من يُسمَّون (الحنشل) من اللصوص، أو بين بعض البادية مع الحاضرة آنذاك، وهو كذلك للمراقبة العامة ومعرفة أهلة ومواقيت الأشهر، ومن المؤكد أن

أهمية الاستخدام لهذا المرقب كانت أكثر زمن الحملات الأجنبية والحروب على نجد عموماً فيما بعد ذلك.

والمرقب من معالم الشنانة الأثرية الباقية من تراثها العام حتى الآن، كما أنه شاهد على تاريخها القديم ومواجهاتها العسكرية المدوَّنة تاريخياً، ولهذا يفتخر أهالي الرس والشنانة خاصةً بهذا المرقب كثيراً، وكذلك عامة أهل القصيم، ولوجود هذا المرقب الذي ربما يفوق مرقب الرس بالبناء والارتفاع دلالات على أن بلدة الشنانة قديماً كانت بلدة عامرة بالسكان والمزارع تضم أسر وعشائر كثيرة، وأسواقاً ومساجد ومزارع وبيوتاً متعددة واستهدافاً أكثر.. ولا توجد معلومات دقيقة عن ارتفاع هذا المرقب عند تأسيسه، لكن عوامل التعرية، وربما القصف الذي تعرض له أثناء بعض الحروب التاريخية التي شهدتها البلدة، فضلاً عن عبث الأيدي المعتدية عليه التي طمست بعض الملامح له.

ويقول بعض أهالي الشنانة: إن عدد الأدوار الساقطة من أعلاه ربما ثلاثة أدوار أو أكثر أو أقل، ومن توصيفه أن المرقب مخروطي الشكل مستدير القاعدة، مبني من الطين القوي المخلوط بالتبن.

وحسب اللوحة المنصوبة بجوار المرقب من قبل (وزارة المعارف وكالة الآثار والمتاحف بالرس) فإن مواصافاته في حالته الراهنة يتكون من ثمانية أدوار بارتفاع ٢٣.٨٠ متر (يعني حوالي ثمانية أدوار أو تسعة حسب المباني الحديثة)، وقطره من أسفل ٧.٥٢ متر، وقطره من أعلاه ١.٥٠ متر، وسمك الجدار من أسفل ١.٢٠متر، وسمكه من أعلى ٤٠.٠٠ سم (حسب معظم كتب الرس، واللوحة الرسمية).

- تاريخ البناء:

ورد في تحديد تاريخ بناء هذا المرقب أنه كان عام ١١١١هـ، والروايات الكثيرة عن هذا التاريخ تُرجِّح هذا بوضوح، بل تكررت في معظم المصادر التاريخية المعتبرة كترجيح، كما أنها هي الرواية الرسمية المدوَّنة لدى الجهات الحكومية، وهو التاريخ المسجَّل لدى وزارة المعارف المعنية بالآثار سابقاً مما يُعزِّز قوة وصحة هذه الرواية، وأنه بُني عام ١١١١هـ، إضافةً إلى ما ورد في كثيرٍ من الكتب التاريخية والمناهج الدراسية حول بناء هذا المرقب، وأن هذا التاريخ هو تاريخ البناء، وهي الرواية الوحيدة التي أوردها عبدالرحمن الصويان كذلك في كتابه (صفحات مطوية

من تاريخنا الشعبي) وإن لم يجزم بها، والنقولات عن الكتب والمصادر التاريخية في معظم المواقع الإلكترونية تنص في غالبها على هذا العام المتقدم في بداية القرن الثاني عشر الهجري، ومن ذلك ما ورد من صحيح الروايات في موسوعة الويكيبيديا عن تاريخ بنائه نقلاً عن بعض المصادر والكتب، والتواريخ الأخرى المحتملة –مع التقدير لكتَّابها– ينقصها جميعاً الدليل القوي، وربما التبس عليهم بعض تواريخ ترميماته أو إعادة بنائه على أنها تاريخ البناء!

وللقيمة الكبيرة للروايات الشفهية المتواترة مكانتها في الروايات التاريخية، فإن ورود بعض الروايات الشفهية من قدماء سكان الشنانة مثل سليمان العميري وغيره تؤكد أن بناء المرقب كان قديماً، وأنه عام ١١١١هـ لأنه تاريخ متقدم.

ومن ذلك ما يقوله ويكرره بعض كبار السن أن البناء قديم جداً تزامن مع تأسيس الشنانة المتقدم، وشارك فيه عدد من الرجال من عدة عشائر وأُسر من رجال الشنانة القدامى، وربما أن أول ذكرٍ للمرقب كتدوين تاريخي في كُتب التاريخ ما أورده ابن بشر في تاريخه بوصفه (قلعتها) بقوله عن حملة طوسون باشا التي حاصرت الشنانة عام ١٢٣٠هـ، مع ملاحظة الضعف

المعروف للتدوين التاريخي قديماً قبل هذه الحملة المصرية وغيرها: «وانحاز عدة رجال منهم إلى الشنانة النخل المعروف فوق الرس، وصاروا في قلعتها». [عنوان المجد في تاريخ نجد: ج١/٣٧٧-٣٧٨]

وعبدالرحمن الصويان مؤلف كتاب (صفحات مطوية من تاريخنا الشعبي) يعزو ضعف تحديد تاريخ البناء، أو عدم تحديد الباني له بأنه بسبب قِدم البناء، فيقول: لم أجد مصدراً يُوثِّق تحديد تاريخ بناء مرقب الشنانة! أو تحديد الشخص الذي بناه! وقد يكون السبب قِدَم تاريخ البناء، أو كوْن المرقب تعرض بعضه للهدم عدة مرات، ومن ثم كان يُعاد بناؤه وهو الأرجح، أو تجديده وترميمه.

ولهذا فإن الصويان الذي قال: لم أجد مصدراً يوثِّق تحديد البناء للمرقب؛ يقول في الوقت ذاته بصيغة الاحتمال وليس الترجيح: إن شارخ المحفوظي من العجمان ربما هو الذي بَنَى المرقب وهو المتوفى عام ١٢٣٢هـ. وهذا القول ربما يكون صحيحاً في حالة إعادة بنائه من قِبل شارخ زمن بداية الحملات ١٢٣٠هـ بعد تعرضه للهدم! لاسيما أن الأمير شارخ وبعض أولاده سكنوا الشنانة. (صفحات مطوية من تاريخنا الشعبي، ص١٥)

ومن أدلة الترجيح أن التواريخ الواردة بعد هذا التاريخ ١١١١هـ لا يمكن أن تكون مجهولةً عند الناس أو الرواة إلى هذا الحد، أو أن يكون الخلاف حولها إلى هذا المدى، ولذلك فمن المُرجَّح –وفق ما سبق– أن فريح التميمي قام بترميم المرقب! أو أعاد بنائه! حينما كان شارخ أميراً للرس والشنانة، وذلك بعد هدم تعرض له عام ١٢٣٠هـ أو ١٢٣٢هـ زمن حملات طوسون وإبراهيم باشا العدوانية على الشنانة ولم يقم فريح بتأسيس البناء ، وبهذه الروايات تضعف كثيراً مرويات أنه بُني قبيل غزوات طوسون وإبراهيم باشا أو أثنائها (١٢٣٠-١٢٣٢هـ).

-الترجيح بين الروايات:

وردت روايات كثيرة وفي بعضها تضارب –كما ورد في بعض الكتب– حول بناء المرقب أو الباني له، لكن هذه الروايات ينقصها الدليل القوي، أو الاستدلال الصحيح مع الاحترام العلمي لتلك الاجتهادات.

وخلاصة الأقوال والروايات عن هذا الموضوع وما فيه من ترجيحات أن معظم الروايات والمقارنات التاريخية تواترت إلى حدٍّ كبير بأنه بُني عام ١١١١هـ للاعتبارات التالية:

أولاً: لأن هذا التاريخ هو المعتمد لدى وزارة المعارف المعنية بالآثار سابقاً، وهو ما دوَّنته الوزارة رسمياً في معلوماتها عن هذا المرقب، ومن المؤكد أن الوزارة اعتمدت على أدلة راجحة وقوية.

ثانياً: يُرجِّح هذا التاريخ ويقوِّيه رواية صالح بن سليمان السلومي –رحمه الله–، بل يؤكدها، حيث يذكر أنه رأى بنفسه قديماً في أحد الأدوار من المرقب تاريخ البناء، وذلك قبل عمليات الترميم الرسمية الأخيرة له، والتاريخ السابق مُسح أو تَمَّ العبث به، وصالح السلومي هذا يؤكد أنه شهد بنفسه زيارة وفد من السفراء الأجانب للمرقب، وكانوا في جولة سياحية على عموم الآثار في المملكة حسب سماعه منهم، وكان من ضمن الوفد الرسمي أفارقة وأوروبيون وغيرهم، وكان برفقتهم لزيارة مرقب الشنانة أحد وُجهاء الرس، وهو الشيخ حمد المالك –رحمه الله– ، وذلك حوالي عام ١٣٨٠هـ، وكان تاريخ البناء موضع نقاش بينهم، واستطاعوا تحديد تاريخ بناء المرقب بأنه كان عام ١١١١هـ من خلال النواظير المُكبِّرة التي استخدموها، ووجَّهوها على الكتابة المحفورة بالطين بأحد أدوار المرقب قبل العبث بالتاريخ.

ثالثاً: أن حجم الكتابات التاريخية بترجيح عام ١١١١هـ تفوق ما يخالفها بكثير وتدعمها أدلتها القوية، كيف إذا أضيف لها الروايات الشفهية من العميري والسلومي وغيرهما كما سبق!

رابعاً: كدليل استنتاجي أن بعض الاختلافات حول تاريخ البناء كلها مما يُعزِّز بصفة قاطعة قِدَمه، وهو ما يكاد يؤكد أنه بُني عام ١١١١هـ، ومما يُرجِّح تحديد هذا التاريخ أو تأكيده أن معظم أحداث الشنانة وتواريخها القريبة كحصار ابن رشيد للشنانة وقطعتها ومعركة الوادي بتفاصيلها رواها الآباء والأجداد لمعاصرتها لحياتهم وحياة أباءهم دون اختلاف في مروياتهم، كما أن حوادث وأحداث حملات الباشا ١٢٣٠-١٢٣٢هـ كان التناقل لها كذلك مشافهةً من بعض الآباء عن الأجداد دون تعارض، كما كان التدوين التاريخي لدى المؤرخين كذلك، لكن الاختلاف حول بناء المرقب أمر آخر، وهذا الواقع لبعض الروايات المضطربة عن تاريخ البناء كاستنتاج منطقي مما يُرجح قِدَم البناء وأنه قبل غزوات الباشا، وهو ما يُعزِّز رواية أنه كان عام ١١١١هـ مالم يتأكد غير هذه الرواية من تواريخٍ قديمة ومحدَّدة، وبأدلةٍ أقوى من أدلة هذا الترجيح.

خامساً: أن قِدَم البناء مع وجود روايات وكتابات أو وثائق عن الأملاك وحدودها يُعدُّ من أقوى الأدلة، ومنها بعض ما يتداول من وثائق عن استقرار آل جنيزر الباهلي في الشنانة في القرن الحادي عشر الهجري، إضافةً إلى روايات أخرى متواترة بأن المرقب بني بأرض الجنيزر الباهلي، وكانوا هؤلاء وحدهم من أهالي الشنانة القدامى ضمن اللجنة الرسمية المُشكَّلة من محكمة الرس وإدارة التعليم بغرض تحديد سور المرقب لاعتماده ضمن الآثار، فليس لغيرهم جوار للمرقب حسب هذه اللجنة، وهذا يطرح التساؤل بأن هذه العائلة (الجنيزر) ربما كان لها دور في بنائه أو مع غيرها وذلك في بداية القرن الحادي عشر الهجري ١١١١هـ، ومعظم هذه الروايات والاستنتاجات مجتمعة مما يُعزِّز أن البناء كان عام ١١١١هـ، وهو الأرجَح بهذه الاعتبارات والاستنتاجات والأقوال والروايات.

والخلاصة حول التدوين التاريخي أن القراءة العلمية الموضوعية تجاه الاختلاف في الآراء، وحول بعض الروايات بضعفها أو عدم قوتها يطرح بقوة أهمية البحث والتقصي في مراكز المخطوطات العالمية كمصر وتركيا، وكذلك في المكتبات السعودية عامة وعلى رأسها مكتبة وأرشيف دارة الملك عبدالعزيز،

وتتأكد الأهمية بحق الجهات والهيئات المعنية بكتب التراث والتاريخ وكتب الرحالة والمستشرقين وتقاريرهم، وهذا البحث والبحوث المقترحة هي جميعاً ما يمكن أن تكشف عن كثير من القضايا التاريخية عن بلدات هذا الوطن وتراثه التاريخي.

وتتأكد المسؤولية أكثر على الجهة المعنية بالسياحة والآثار والتراث (الهيئة العامة للسياحة والتراث الوطني) بالقصيم تحديداً أن تتصدر بذاتها إخراج المطويات (البروشورات) والأفلام الوثائقية الرسمية بتوثيق تاريخي من المختصين في الدراسات التاريخية لهذا المعلم التاريخي والموروث العام، وذلك منعاً للاجتهادات الفردية أو المشاحنات العائلية التي ربما تشوه الجانب المعرفي للتاريخ السعودي بوحدته الغالية وتراثه.

[٣]

من ذاكرة التاريخ: الشنانة وحفل الملك سعود التعاوني

تأتي أهمية بلدة الشنانة بالقصيم من خلال أحداثها التاريخية الكبيرة التي مرَّت بها ودوَّنها التاريخ، وتتأكد أهمية الزيارة الملكية إلى الشنانة مع الرس في مناسبة واحدة وذلك في عام ١٣٧٩هـ، حيث التكامل الجغرافي المترابط بينهما، سواءً في دور الرس والشنانة وتكاملهما التاريخي في المقاومة زمن الدولة السعودية الأولى ضد الحملات الأجنبية، أم في أحداث التأسيس للدولة السعودية الثالثة، كحادثة "قطعة الشنانة" أو ما يُسمى "وقعة الشنانة"، وما تلاها من معركة عسكرية فاصلة في بداية تأسيس الوحدة عُرفت عند كثيرٍ من المؤرخين باسم معركة الوادي عام ١٣٢٢هـ، ولهذه الأهمية التاريخية العسكرية للشنانة زمن الدولة الأولى والثانية والثالثة؛ أَفْرَد لها الملك سعود –رحمه الله– زيارة خاصة بها، بعد زيارته للرس في ربيع الأول عام ١٣٧٩هـ، وكان للشنانة احتفال خاص معروف بهذه المناسبة من قبل أهالي البلدة.

- الجانب التعاوني في هذا الحفل:

كان العمل التعاوني في حفل الملك سعود -رحمه الله- أنموذجاً للجهود المجتمعية المشتركة من قبل أهالي بلدة الشنانة، ولم تكن الأعمال التعاونية والتطوعية حصراً على احتياجات المجتمع الأساسية المرتبطة بالزراعة أو البناء للبيوت مثلاً، بل كانت تتعدى ذلك إلى إحياء المناسبات بالتعاون والتطوع كمواسم رمضان وما فيه من تبادل الطعام والصدقات، ومناسبات الأعياد وولائمها، ورحلات الحج والعمرة وما فيها من صور التعاون، وكذلك عن طعام غداء الجمعة في بعض القهاوي (الديوانيات) وغير ذلك مما هو مُفصَّل في بعض الكتب المعنية بالرس والشنانة.

ويظهر هذا التعاون والتطوع بين أهالي البلدة بارزاً بوضوح في حفل الملك سعود كذلك، ابتداءً من فكرة الدعوة للزيارة، حيث كانت من عموم الأهالي، ومن معظم الأسر التي كانت تقطن الشنانة، ثم كان جمع المال اللازم لتنفيذ هذا الحفل، حيث (مائة ريال) على كل موظف أو صاحب مال وراتب، فهو تعاون من الجميع وتطوع من الجميع حسب الروايات المتواترة من الأهالي، ومن ذلك رواية الشيخ عبدالله السلومي عن الحفل، وكذلك كان

إعداد مقر الحفل وتجهيزه بكل التجهيزات، فلم تكن الأيدي العاملة الأجنبية موجودة أصلاً، وقد تم اختيار أهالي الشنانة لمزرعة مُحدَّدة لتكون مقراً لهذا الاستقبال والحفل؛ نظراً لتميزها بفواكه الرمان والتين مع النخيل وذلك في قرية البلاعية، وكانت إضاءة المكان بجلب مُولِّد الكهرباء من خلال هذه الميزانية الأهلية المشتركة، إضافةً للتعاون التطوعي المشترك بالتشغيل للكهرباء بخبرات اثنين من الأهالي، وهما محمد بن عبدالله الرداحي الخليفة، وصالح بن سليمان السلومي –رحمهما الله–، وكذلك كانت تصاميم مداخل قرية البلاعية ومداخل الحفل من البوابات الخشبية المصنوعة محلياً داخل القرية نفسها وبأيدي محلية كذلك.

وقد كان استيراد شاحنة من الفواكه الأخرى من الرياض لغرض حفل الشاي المُرتَّب له عصراً بتعاون كذلك بين الأهالي، وكان الحفل الخطابي بتجهيزاته الكهربائية والصوتية وفقرات الحفل تعاوناً وتطوعاً من الجميع، حيث تقديم فقرات الحفل الخطابي كان بإدارة عبدالله بن علي الشرايدة الخليفة –رحمه الله– وكذلك كلمة الأهالي التي قدَّمها وكان مديراً لمدرسة الشنانة آنذاك، كما كانت الافتتاحية بالقرآن من أداء عبدالرحمن بن سليمان السلومي،

وهكذا كانت شراكة الجميع وتعاونهم، وكل هذا وغيره مما يكشف أكثر عن روح التعاون المتأصلة في مجتمعات الأمس، وبالتالي فهذا كله مما يعكس مدى التراحم والتعاطف، وحجم المحبة والمودَّة بين الأهالي والجيران من شتى الأسر والبيوت.

ومن صور التعاون ما قام به أبناء عبدالله الرداحي الخليفة -رحمهم الله-، حيث كانت مزرعتهم (الحايط) مكاناً للاستقبال والحفل باتفاق بين جماعة الشنانة، ومن صور التعاون البنَّاء ما قام به بعض الأهالي من الاصطفاف على جانبي الطريق قبل مدخل المزرعة مقر الحفل، ومن صور التعاون ما قام به بعض الرجال من الأهالي في تنظيم الاجتماع النسائي بعيداً عن مقر الحفل للحصول على هدية الملك سعود المعتادة للأهالي عند أي زيارة له للبلدات ومواقع الضيافة في رحلاته وأسفاره، وقد تمت الأُعطيات للنساء بإشراف وترتيب من منظمي الحفل.

ومن صور التعاون ما ورد من شراكة عملية من قبل صالح بن سليمان السلومي -رحمه الله- وقد ورد في ترجمته أن من سمات عصره قوة العمل التعاوني الاجتماعي بين أهالي القرى والبلدات، والتي كانت من الخصال الحميدة والأساسية لمجتمعات أيِّ قريةٍ وبلدةٍ في الجزيرة العربية خاصة، وذلك في التعاون

لإنجاز أي مشروعٍ خاصٍ أو عام للقرية والبلدة، وهذا حينما كانت القُرى والبلدات تخلو تماماً من الإخوة الوافدين والعمال ومن وجود الخدمات الحكومية آنذاك.

وقد كان صالح السلومي المُصمِّم والمُنفذ لأقواس بوابات حفل استقبال الملك سعود الخشبية بالشنانة، وكان المشرف على تركيبها كذلك، حيث وُضعت إحدى هذه البوابات بمدخل المزرعة المقام فيها الحفل، كما وُضعت الأخرى مدخلاً خشبياً للشنانة وتم تزيين البوابتين بالأقمشة الملونة، كما تمت إضاءتهما بالأنوار البيضاء والصفراء نظراً لوصول الموكب قبل المغرب إلى البلدة، وتسمى هذه البوابات آنذاك (دراويز)، وقد ظلت هذه البوابات الخشبية فترةً طويلة على سور المزرعة التي أقيم الحفل فيها بجوار المسجد سِنين عددا، كما كان التعاون المشترك بين كل من صالح السلومي ومحمد (عبدالله) الرداحي الخليفة في تشغيل ماكينة الكهرباء التي تم إحضارها للشنانة لهذا الغرض لعمل الإضاءات اللازمة للحفل، وغير هذا من صور التعاون والمشاركة المعروفة عن هذا الحفل وغيره من صور التعاون والتطوع الوارد ذكرها في بعض الكُتب والمقالات، والتي لا تزال في ذاكرة أصحاب

الذكريات من الآباء والأجداد من كثيرٍ من العائلات المعاصرة لتلك الأحداث.

وكان هذا التعاون بارزاً ومتميزاً بين أهالي بلدة الشنانة تشاركت فيه معظم عائلاتها بروحٍ أخوية معروفة في هذا الحفل، وفيه كان تعاونٌ بامتياز بين الأهالي بدءاً بجمع مبالغ الحفل الذي كان على كل واحدٍ من أهالي الشنانة دَفْعُه خاصةً الموظفين منهم، وكان لكل واحد شراكته بتجهيز مكان الحفل بما يلزم من كهرباء ومداخل للموكب الملكي القادم للشنانة، حتى كان نجاح الحفل والحفل الخطابي.

- مواقف، وجوانب طريفة في الحفل:

من المواقف الاحتسابية الرائعة في هذا الحفل وقت الإعداد والترتيب أو ما يُسمى اليوم "البروفات"، أن الحفل كان متضمناً إحدى الفقرات الشعبية المختلف عليها بين بعض الأهالي آنذاك، حيث كان الإنكار من فئة وقبول التغيير من قِبل الفئة الأخرى، حينما تم تعديل إحدى فقرات الحفل وذلك بالتزام منظمي الحفل فيما بعد ذلك بما تعاون عليه الجميع مالياً وإدارياً، وتم استبدال تلك الفقرة بفقرة فكاهية!

ومن الجوانب التعاونية الطريفة التي ربما تلفت النظر ما صَاحَبَ هذا الحفل من تعاون شباب الرس بشراكتهم في إنجاح هذه الزيارة الملكية للرس والشنانة، حيث مبادرة مجموعة من شباب الرس آنذاك بمجاراة ومُصاحبة الموكب عن يمينه وشماله بدراجات نارية من الرس إلى الشنانة وكذلك عند الرجوع من الشنانة، كما كانت الحركة الترحيبية نفسها في استقبال الملك عند دخوله الرس ووداعه، وكان عدد هؤلاء حسب الأستاذ صالح بن محمد المزروع في كتابه عن الرس اثني عشر شاباً، ستة عن يمين سيارة الملك، وستة آخرين عن شمالها، وقد ذكرهم المزروع بالأسماء وهم: (محمد دخيل المالك، صالح عبدالله الضلعان، علي عبدالعزيز الغفيلي، محمد الشيباني، علي راشد الغفيلي، محمد ناصر الخليوي، عبدالعزيز عبدالله الغفيلي، سالم علي الخليوي، عبدالله محمد الجربوع، مطلق عبدالله التركي الحناكي، إبراهيم محمد الضويان، ماجد النويجم)، وقد تم تقدير موكب الملك سعود لهذا الاصطحاب من قِبَل شباب الرس مع الموكب إلى الشنانة، ثم الاصطحاب عند المغادرة فحصل كل واحد منهم على ساعة ثمينة هدية.

كما حصل الجميع من منظمي الحفل على هدايا مالية تم تقسيمها من قبل المنظِّمين خاصةً بين شركاء العمل التطوعي والتعاوني، ومن ذلك ما حدث مع عبدالرحمن السليمان السلومي، والذي كان لتعاونه نصيب أكثر من هدية الحفل المالية، ربما لأنه شاب زاد على بعض أقرانه من الشباب ببعض الجهد أو العمل وكانت بعض تفاصيل هذا الحفل من ذكرياته وروايته، كما كان لأصحاب المزرعة نصيب أوفر وأكثر من هدية الملك المالية للحفل.

والخلاصة عن هذا الحفل: فكما أنه انعكاس للتلاحم والتراحم بين المواطنين والقيادة، فهو في الوقت ذاته معبِّر عن أهمية أعمال التعاون والتطوع وأنه وسيلة مثلى لزرع قيم الأخوَّة والتعاطف، بل وإنجاح الجوانب التنموية آنذاك، حيث كانت أعمال التطوع تُعدُّ الوسيلة الوحيدة في إنتاجية معظم الأعمال لدى البلدات والقرى في سابق عهدها، كما كان نجاح الحفل بشراكة عموم المجتمع أنموذجاً يُحتذى، وكان الشباب بإمكانياتهم، والكبار بقدراتهم وكفاءاتهم يُكمل بعضهم بعضاً ومع المال الجماعي كل ذلك كان لتحقيق الهدف بروح أخوية مُنتِجة، وما أطيبها من أيام وذكريات لكل من عاشها.

[٤]

وقعة الشنانة.. ومعركة الوادي عام ١٣٢٢هـ

كانت منطقة القصيم موطن صراع كبير عند تأسيس الدولة السعودية الثالثة وفي ملحمة توحيد الكيان بين الإمام عبدالعزيز –رحمه الله– وخصومه آل رشيد، وكان لبلدة الرس وقراها كالشنانة وقصر ابن عُقيِّل وغيرها دور لا يُستهان به آنذاك، حيث كانت وقعة الشنانة والأحداث التالية لها عوامل توحيد، وتتأكد أهمية (وقعة الشنانة) أو القطعة (قطعة نخيلها) عام ١٣٢٢هـ، ثم ما جاء بعدها من معركة عرفت بـ(معركة الوادي) التي تلت وقعة الشنانة مباشرة، حيث كان حدث الوقعة ثم المعركة في السنوات الأولى لمرحلة التأسيس للكيان، ولهذا فهذه الوقعة والقطعة للشنانة –كما تسمى– بأحداثها المتعددة مع نتائج المعركة ذات إسهام كبير في توحيد الكيان السياسي المأمول، حيث أن لكل واحدةٍ من الوقعة والمعركة أحداث وتضحيات وشهداء، وتُعدُّ الوقعة والمعركة من أبرز مدخلات الوحدة المبكرة المشهودة ومعزِّزاتها، وتتأكد هذه الأهمية أكثر بأنها جاءت بعد

سيطرة الإمام عبدالعزيز على الرياض عام ١٣١٩هـ، ومع أبرز الخصوم.

ومما هو جدير ذكره أن يعي القارئ أن حادثة (وقعة الشنانة) واجتياحها حوالي شهرين من قبل ابن رشيد تختلف عن حادثة (معركة الوادي) التالية لها، وذلك من جوانب متعددة ومختلفة في طبيعة الأحداث، ولكن ما يجمع بين الحادثتين (الوقعة والمعركة) أن لكل واحدة منهما تضحياتها وشهداءها الخاصة بها، ولهذا فهما حادثتان متكاملتان عسكرياً وسياسياً.

وحول الهدف والسبب الرئيس لما فعله ابن رشيد بالشنانة وأهلها من تدمير وقتل وقطعٍ لنخيلها فإن الهدف كان معاقبتهم على موقفهم المناوئ له والمناصر للإمام عبدالعزيز فكان تخويف أهاليها، وقد يكون قطع النخيل والأشجار بهدف إطعام جنده وخيله وإبله من سعف النخيل وجُمَّارها، وربما أنها كلها أسباب عقابية مجتمعة! وكانت نتائج أعماله ومآلاتها تحييد أهالي البلدة عن قتاله أو مقاومته، ومع هذا فإن هذه التصرفات الخاطئة بحق بلدة الشنانة وأهاليها تُعدُّ من الحماقة العسكرية والغباء السياسي من ابن رشيد، وفي مآلاتها ظلم وجناية بحق الشنانة وأهلها وكسب عداوة إضافية لابن رشيد وحكمه.

- ابن رشيد و(تحييد) أهالي الشنانة عن مواجهته عسكرياً:

حول (وقعة الشنانة) تحديداً وَرَدَت رواياتٌ تاريخية كثيرة، ومن أبرزها ما رواه شاهد عيان مما يُعد من المصادر القوية، لا سيما حينما تُعزِّزه الكتابات التاريخية الأخرى، وشاهد العيان هو محمد الصويان المولود عام ١٣٠٨هـ -رحمه الله-، وقد تحدث عن قصة وقعة الشنانة، برواية صوتية في شريطٍ تسجيلي تَحوَّل فيما بعد إلى كتابٍ بعد وفاته باسم "صفحات مطوية من تاريخنا الشعبي".

وعن هذا أورد محمد الصويان وغيره من رواة الأحداث التاريخية نماذج مما تعرض له أهالي الشنانة ووجهاؤها، وتحديداً من أهل الشجاعة والقوة أو ممن يعنيه أمر الشنانة آنذاك، وسواءً قصد ابن رشيد بهذا تأديبهم والانتقام منهم ونزع السلاح من أيديهم! بسبب مناصرتهم للإمام عبدالعزيز بن سعود أم أنه أراد بهذا تحييد موقفهم! فإن النتيجة والمآلات كانت واحدة، حيث عدم مشاركة أهل الشنانة العسكرية ضد ابن رشيد فيما بعد ذلك، فقد كانت هي النتيجة التي ربما تهم ابن رشيد، وهذا ما أسهم بالفعل في تحييدهم وإقصائهم عن حضور أي معركة متوقعة قادمة بين

ابن رشيد وابن سعود، وعن هذا التحييد وردت أقوال وروايات الصويان حول ابن رشيد، ومنها أنه جَمَع أهل الشنانة صفًّاً واحداً، ثم صادر جميع أسلحتهم، وكان التحييد الثاني قَتْلُه لأشهر وُجهاء الشنانة وأعيانها، ومنهم حمد الصويان وعلي الصويان وناصر البلاع وأربعة آخرون لم تُذْكُر أسماؤهم في أيٍ من كُتب التاريخ أو رواياته! ثم كان ثالث أعمال التحييد هروب بعضهم عن الشنانة وعن المواجهة المحتملة معه، وآخر صور التحييد وأقواها تربيط بقيتهم واصطحابهم معه! وتلك من صور التحييد المتعددة، وعن ذلك قال الصويان: «بعد ذلك، رَحَلَ ابن رشيد من الشنانة إلى بلدة القوعي، وهي تقع غربها، آخذاً معه من رجال الشنانة، الذين كانوا مربوطين في السلاسل، سبعة عشر رجلاً كانوا مقيدين، وترك الباقين فيها، والأشخاص الذين تركهم، هم الأشخاص الذين ليس لهم شوكة في البلد، مثل العبيد و العمَّال، أما الرجال السبعة عشر الذين قادهم معه وكان من ضمنهم والدي سليمان الصالح الصويان، فوصلوا إلى القوعي وهم شبه ميتين من الجوع والتعب؛ لأنهم كانوا طيلة تلك الفترة لا يأكلون إلا جُمَّاراً، وكان عَبِيد ابن رشيد يقودونهم وهم مُقيَّدون بالسلاسل» [صفحات مطوية من تاريخنا الشعبي، ص٣٥-٣٦].

وأقول معلقاً على هذه النصوص وما يُماثلها: لقد كان قتل ابن رشيد لبعض وجهاء الشنانة كما سبق إيضاحه، وذلك بالضرب العنيف دون قتال! إضافةً إلى هروب بعضهم من بطش ابن رشيد من الشنانة، وتحييد اثنين وأربعين (٤٢) رجلاً منهم بمصادرة سلاحهم ليصبحوا دون سلاح! ثم كان تربيط ابن رشيد لعدد سبعة عشر (١٧) رجلاً منهم بالسلاسل وتكبيلهم بالحديد أو الحبال والسير بهم مقيدين مع جيشه ممن كان قد أوكَلَ بهم بعض عبيده، كل ذلك كان كفيلاً بإنهاء أي مقاومة عسكرية من الشنانة وأهلها تجاه ابن رشيد، ولهذا كله يمكن القول: كفى فخراً بهذه التضحيات لأهل الشنانة ما حدث لهم قُبَيْلَ معركة الوادي، وكانت المعركة بعد رحيل ابن رشيد من بلدة الشنانة بيوم أو يومين أو ثلاثة فقط، وابن رشيد أصبح بهذه العقوبات لأهالي الشنانة من القتل والتشريد والتنكيل ومصادرة الأسلحة ناجحاً حسب تقديراته، حيث أصبح واثقاً أن هذا كافٍ في تحييد أهالي البلدة، فحسب نتائج أفعاله كان الحِرمان لأهالي الشنانة من المشاركة العسكرية فيما بعد بمعركة الوادي، وحقيقة الأمر أنه لم يَرد في الكتابات أو الروايات والوثائق تحديدُ اسم أحد من أبطال الشنانة ضمن رجال

معركة الوادي!! وهذا لا يعيبهم، وقد يكون هذا التحييد مما يحتاج إلى مزيد من البحث العلمي المتجرد الدقيق لمن يرى خلاف ذلك.

وواقع الأمر عن (وقعة الشنانة) أنه اجتياح وظلم وعدوان على الإنسان والمكان، وواقع هذا الحصار حسب كتب التاريخ والمؤرخين والرواة أنه لم تُطلَق بالشنانة رصاصة واحدة! والتعبير الدارج: «لم تَثُرْ [تُطْلِق] فترة الحصار بندقٌ واحدة بالشنانة» – كما يقال ويُردَّد– من الأقوال المدوَّنة والشفهية من الروايات والرواة، ولم يكن بين ابن رشيد وأهالي الشنانة معركة عسكرية على أرض الشنانة تحديداً على الإطلاق، وكان اجتياحاً وعبثاً بالبلدة فقط.

والحقيقة مرةً أخرى أن هذا الموقف أو مواقف الثبات لدى أهالي الشنانة على مبادئهم بهذه القوة والشجاعة كان مما يفوق شجاعة المعارك، حيث كان ثباتهم على مدى شهرين ولم يستسلموا فيها لابن رشيد بإعلان الطاعة أو الخضوع له مما يُعدُّ منقبةً كبرى لأهالي البلدة، وإسهاماً لا مثيل له بنصر عملية التوحيد والوحدة، وهو ما جعل أهل الشنانة يدفعون ضريبة الموقف الثابت، وهو لا يقل قيمةً وأهميةً عن الشراكة في معركة الوادي، وهذا ما سجله التاريخ للبلدة وأهلها، فالتحييد هنا لأهالي

الشنانة لا يعني ضَعف التضحيات، فبالرغم من هذا التحييد فإن أحداث وقعة الشنانة أو قطعتها تعني الكثير. وكما أن لمعركة الوادي شهداء فلبلدة الشنانة بوقعتها وقطعتها قبل المعركة تضحيات وشهداء كذلك.

ومن خلال تتبع مصادر التاريخ واستقراء مراجعه تأكد لي – بصفتي البحثية– بأن أهل الشنانة الذين تفرقوا وخرجوا منها فيما بعد القطعة والتدمير للمزارع والآبار كانوا من أسر وعائلات متعددة فَقَدَت مقومات حياتها المعيشية، وهؤلاء الأهالي بهذا الواقع خسروا بأكثر من غرم وخسائر معركة الوادي المحدودة في صفوف جيش الإمام ابن سعود، وربما أن ما حدث للشنانة يوازي تضحيات الآخرين أو أكثر منها، أعني مناصري الدولة السعودية الوليدة في المعركة تحديداً، بل إن قتلى أهالي الشنانة بالضرب كانوا سبعة رجال! وكانوا بهذا أكثر من قتلى معركة الوادي! حيث كان عدد قتلى المعركة لم يتجاوز الخمسة رجال من الرس حسب أشهر الروايات التاريخية.

- (معركة الوادي) الحاسمة وتغيير موازين القوى:

وردت روايات كثيرة حول موقع هذه المعركة الفاصلة وتفاصيل أحداثها ونتائجها في تاريخ الوطن، ومنها رواية المؤرخ أمين الريحاني، وعنها كتب: «وقعة الشنانة، والأحرى أن تُدعى بوقعة وادي الرمة، هي القسم الثاني من مذبحة البكيرية، التي قضت على عساكر الدولة، وأغنت أهل نجد» [تاريخ نجد الحديث وملحقاته، ص١٣١-١٣٢].

كما قال الريحاني وأكَّد بصورة أكثر وضوحاً: «حيث مشى الجند السعودي من القصر وراءها، فأدركوا العدو في (وادي الرِّمة)» [تاريخ نجد الحديث وملحقاته، ص١٣١].

كما فصَّل القول حول التسمية وأكَّد على أنها معركة الوادي المؤرخ الدكتور عبدالله العثيمين وهو من أبرز المتخصصين في التاريخ السعودي، قائلاً: «قام ابن الرشيد بقطع نخيل أهالي الشنانة، ودفن آبارهم، وهدم منازلهم، وَأَسَرَ سكان الشنانة، وتسمى هذه الحادثة (قطعة الشنانة) أو (مناخ الشنانة) والمعركة وقعت في (وادي الرمة) وتبعد عن بلدة الشنانة ١٨ كيلاً والمعركة وقعت في يوم ١٨/٧/١٣٢٢هـ في وادي الرمة، لذا من الطبيعي أن تسمى (معركة الوادي) والتي انتصر فيها المؤسس انتصاراً

حاسماً، أما الشنانة فلم تشهد وقوع معركة إنما عسكر فيها ابن الرشيد، والمؤسس عسكر بالرس» [معارك الملك عبدالعزيز المشهورة لتوحيد البلاد، ص٩٥-٩٦].

ومن المؤرخين المعاصرين لتفاصيل الوقعة بالشنانة وتفاصيل المعركة بالوادي المؤرخ إبراهيم بن عيسى المتوفى سنة ١٣٤٣هـ وقد سمَّاها (معركة قصر ابن عُقيِّل) [عبدالله البسام، خزانة التواريخ النجدية، ج٢/ص٢٨٧].

وحدثت (معركة الوادي) بعد رحيل ابن رشيد من الشنانة متأثراً من بدايات تفلت جيشه ومَلَلِهم، كما ورد ذلك في كُتب التاريخ ومروياته، وكما هو تعبير روايات كبار السن عن الحدث، ولم تكن المعركة بعيدةً عن الشنانة، حيث كانت قريبة منها، في مكان يُسمى قصر البطَّاح تقريباً، في ضفة وادي الرمة وقريباً من قصر ابن عقيِّل كذلك، ومما هو معروف تاريخياً أن معركة الوادي المدوَّنة في معظم كُتب التاريخ حدثت امتداداً لحصار الشنانة وقطع نخيلها، ولذلك سمَّاها بعض المؤرخين أو المؤلفين تجاوزاً معركة الشنانة ومن باب المجاز، فالسببية والمجاورة والشُهرة كانت بحصار الشنانة الطويل وبما أصابها خلال حوالي شهرين من الاجتياح والانتهاك لحرمة البلدة.

وفي معركة الوادي هذه شارك مع جند الإمام عبدالعزيز أهالي الرس والقصيم عامة، ومتطوعون ومجاهدون من الحاضرة دون البادية التي كانت قد انسحبت من جيش الإمام زمن المرابطة قبل المعركة حسب ما هو مدوَّن بكتب التاريخ، والمقام هنا للتذكير بأهمية المعركة ونتائجها وآثارها في تعزيز مطلب توحيد بلاد نجد المنشود بعد دخول الرياض عام ١٣١٩هـ.

- (شهداء الموقعة) و(شهداء المعركة):

دوّن التاريخ وانتهى بأن الشنانة دفعت الثمن بما ورد من تضحيات سجَّلها التاريخ، وكان شهداء (وقعة الشنانة) سبعة رجال كَتَبَ التاريخ عن أسماء ثلاثة منهم من وجهاء البلدة ومن أبرزهم: ناصر بن صالح البلاع وحمد بن إبراهيم الصويان وثالثهم علي بن صالح الصويان -رحمهم الله-، وبقي الأربعة الآخرون مجهولين لم تكتب عنهم مصادر الوقعة والحادثة، وقد يكونون من أهل المواقف الرافضة لابن رشيد من أهل البطولة والشجاعة، وربما أنهم ليسوا من أهل الوجاهة في البلدة، حيث لم تُذكر أسماؤهم أو أُسرهم في أي مصادر التاريخ أو مراجعه!!

وعن عدد قتلى (معركة الوادي) دُون ذكرٍ للأسماء ورد: «أما القتلى من الجانب السعودي فكانوا قلةً نظراً لطبيعة المعركة التي شهدت انسحاباً من الخصم، ولذا فإن عدد القتلى السعوديين لم يتجاوز الخمسة رجال، بينما بلغ عدد قتلى أتباع ابن رشيد من شمر اثني عشر رجلاً» [الدكتور خليفة المسعود، الشنانة ودورها التاريخي عبر مراحل الحكم السعودي، ص٥٢].

وعن قتلى المعركة وبعض أسمائهم فقد أورد الأستاذ قبلان القبلان في مقالةٍ له بصحيفة الجزيرة وفيه عن بعض أسماء شهداء المعركة، وحسب قوله لكاتب هذا المقال عن مصادر تحديد الأسماء، فقد ذَكَرَ أن من مصادره القائد العسكري ناصر بن دغيثر قائد النجديين في معركة ميسلون –رحمه الله–، وكذلك محافظ الرس سابقاً محمد العساف والذي عُرف باهتماماته التاريخية – رحمه الله–، وفي المقال ورد أن ممن قُتل من جانب جيش عبدالعزيز بن سعود: عبدالعزيز بن محمد الرشيد، وعبدالله بن سليمان بن خميس، وأمير شقراء عبدالله بن محمد البواردي الملقب بحجرف، وأفراد من أهالي الرس [صحيفة الجزيرة، العدد ١٣٢٩٦، بتاريخ ٢٧ صفر ١٤٣٠هـ].

وقد ذكرت مجلة المنار المصرية إحصائية عامة عن قتلى (معركة الوادي) بأنهم كانوا أربعمائة وخمسة وثمانين من رجال ابن رشيد، ومن الصف الآخر اثنان من أهل عنيزة، وأربعة من أهل الرس، وثلاثة من أهل بريدة، وستةٌ من جنوب نجد دون تحديد للأسماء [مجلة المنار المصرية، ج١٩/م٧، ص٧٥٩ – ٧٦٠].

ويصف المعركة بعض المؤرخين بأنها لم تكن معركة قتالٍ ومواجهة كما هي طبيعة المعارك بقدر ماهي مناوشات وانسحابات من ابن رشيد المنهزم من بلاد القصيم، وكان لعائلة ابن عقيّل بروز وظهور في هذه المعركة وانتصارها وما فيها من استضافة للإمام عبدالعزيز، وكانت المناصرة وموقع المعركة المجاور هو ما منحهم إقطاع بلدتهم قصر ابن عقيّل وإمارتها، وهو ما يؤكد كذلك موقع أرضية المعركة ومكانها الجغرافي.

وبهذا أصبحت (وقعة الشنانة) و(معركة الوادي) بتكاملهما التاريخي نقطة تحول تاريخية في مشروع إعادة توحيد الكيان السعودي وميلاد الدولة السعودية الثالثة.

حفظ الله هذه الوحدة بمقوماتها ومقدساتها ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (يوسف: ٦٤).